المملكة العربية السعودية

جامعة الدمام / التعلم عن بعد

تخصص علم اجتماع / المستوى الثالث

١٤٣٣ /١٤٣٤ هـ

تاريخ الفكر الاجتماعي

السيرة الاكاديمية لزعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ومنشئ علم الاجتماع الحديث وأحد دعائم الحركة العلمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (ايميل دوركايم)

اعداد الطالبة/ منى صالح الخميس

الرقم الجامعي / ٢١٢٠٠١١٠٣٤

جامعة الدمام / تعلم عن بعد

المستوى الثالث

بإشراف د. سوسن البيطار

ايميل دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧)

أولاً : نبذة عن حياته :

ولد في ١٣ أبريل ١٨٥٨م في مدينة إيبينال في الجنوب الشرقي من فرنسا عن أسرة يهودية تتمسك بتقاليد الدين. وقد أحب دور كايم منذ حداثته مهنة التدريس فصمم على أن يصبح مدرساً وليس رجل دين كما كانت ترغب أسرته. وظل حتى الثامنة عشرة من عمره طالباً متفوقاً بمدرسة ابينال، ثم ما لبث أن انتقل إلى باريس حيث التحق بالليسيه، وهي خطوة للالتحاق بعد ذلك بمدرسة المعلمين العليا، والتي كانت تمثل في ذلك الوقت قمة اختيار الطلاب الأكاديمين في فرنسا، وقد تمكن دور كايم من الالتحاق بها بعد أن اجتاز اختياراً تمهيداً عام ١٨٧٩م، وكان قد بلغ من العمر ٢١ عاماً ولقد كانت المدرسة مركزاً هائلاً للفكر في ذلك الوقت.

استكمل دراساته في مدرسة المعلمين العليا بباريس ، ثم سافر إلى ألمانيا حيث درس الاقتصاد، والفولكلور، والانثربولوجيا الثقافية، ثم عين أستاذاً بجامعة بوردو عام ١٨٨٧م ، والتي كانت أول جامعة فرنسية تطرح مقررات منتظمة ونظامية في مجال العلوم الاجتماعية وبخاصة في علم الاجتماع، والتحق بجامعة باريس عام ١٩٠٢م .

إلا أن تدريس العلم الاجتماعي أساساً علمياً يتمثل في تدعيم فلسفات التحديث في إصلاح التعليم .. فقد تدرجت المحاضرات الأولى متنوعة تنوعاً واسعاً وقد تدرجت بدءاً بالأخلاق والتغير الاجتماعي والانتحار والأسرة والتربية وانتهاءً بالاشتراكية وتاريخ علم الاجتماع ذاته. كان من المألوف أن ينظر إلى علم الاجتماع في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر على أنه مرادف للاشتراكية ومن ثم اعتبر كما لو كان معادياً للثقافة والقيم البرجوازية إلى جانب عدائه للدين والأسرة والتغير الاجتماعي السلمي.

بذلك يكون دوركايم أول عالم اجتماع فرنسي أكاديمي محترف يشغل كرسي أستاذية علم الاجتماع (١٩١٣). إذ كان علم الاجتماع بالنسبة له حرفة أو مهنة. لذا كان يعمل دائماً على أن يجبر الهيئة الأكاديمية على قبول علم الاجتماع كتخصص علمي معرفي محدد. كما حدد في دروسه وأبحاثه المستويات التي من خلالها يمكن الحكم على علم الاجتماع أو تقييمه.

بدأ كايم خطه المهني، أي اشتغاله بعلم الاجتماع وفي وقت بدأ فيه النظام التعليمي الفرنسي يمر بعملية توسع وتحديث بدرجة ملحوظة، وكانت هذه الفترة هي فترة الانكسار والخزي القومي لما منيت بها فرنسا من هزيمة في حربها مع بروسيا (١٨٧٠- ١٨٧١) وضم ألمانيا لمنطقة الإلزاس واللورين، فلقد كان الشعور القومي في عصر الجمهورية الفرنسية الثالثة يشكل السياق الأيدولوجي للعديد من حركات الإصلاح العلماني التي قامت بها الدولة في نظام التعليم العالي برمته. وكثيراً ما وصف علم الاجتماع الدوركايمي كما لو كان إسهاماً ملحوظاً لتشكيل الأخلاق المدينة الحديثة، أو صياغة أيدولوجية جمهورية جديدة ترفض كلاً من الاتجاه الكاثوليكي الفرنسي التقليدي جنباً إلى جنب مع الاتجاه الاجتماعي المحافظ الذي كان مترسخاً في أعماق الفرنسيين.

نظراً لكل هذه الظروف التي كان يمر بها مجتمع دور كايم ، ظهرت مشكلة الاتساق العام وكيفية حماية المجتمع من الانهيار. مع وجود هذه الأزمات لم تكن الظروف التي أدت إلى انبثاق علم الاجتماع على يد كونت وقد اختفت تماماً، فلا يزال الصراع بين النزعة المحافظة والاشتراكية الراديكالية قائماً، وعلى دور كايم أن يختار لنفسه طريقاً وسط هذه الظروف.

ثانياً : دور كايم والاتجاهات الفكرية السائدة :

هنا سنحاول أن نعرض للاتجاهات الفكرية السائدة التي تحاور معها كايم ، فقد تشكل فكره من خلال هذا الحوار إلى جانب تأثره بظروف المجتمع الذي يعيش فيه. تحاور دور كايم مع ثلاثة اتجاهات فكرية : الفكر النفعي لهربرت سبنسر، والفكر الاشتراكي ثم الفلسفة الوضعية وإطارها المحافظ.

دور كايم والفكر النفعي:

اتضح منذ البداية معاداة دور كايم للنزعة الفردية ، بحيث يذهب روبرت نيسبت إلى أن دور كايم يشترك مع فرويد في تحمل جزء كبير من المسئولية عن تحويل الفكر من التركيز على الإرادة والاختيار والوعي الفردي، إلى التركيز على الجوانب غير الاختيارية وغير العقلية. بل إن رد فعل دور كايم تجاه المذهب الثوري كان أكثر ثورية من فرويد من حيث أنه ظل هو بؤرة الاهتمام الرئيسية في تحليلات فرويد النفسية ، أما دور كايم فإنه يركز على الظروف الاجتماعية الخارجية كمصدر للدافع والفكر والسلوك. فما نهتم به عند دراسة أسبقية المجتمع على الفرد، ومن قدرة هذا المجتمع على أن يضع مجموعة من الميكانيزمات القهرية تضبط سلوك الأفراد داخله. ومن هنا تظهر معاداة دور كايم معاداته للفكر الفردي وهذا شيء طبيعي طالما ان بؤرة اهتمامه الرئيسية هي النظام العام. فهو يخاف أن تقضي المنفعة الفردية والتنافس على وجود هذا النظام على ما يذهب ألفن جولدنز.

تتضح معاداة كايم للفكر النفعي الفردي أيضاً في رفضه لنظرية العقد الاجتماعي المرتبطة بهذا الفكر والتي أكد عليها هربرت سبنسر وجوهر النظرية هو علاقة التبادل الاقتصادي التي تحسمها حسابات العرض والطلب بين الأطراف الداخلة في التعاقد. فنظر كايم إلى العقد نظرة مجتمعية عامة، يتحقق من خلاله النظام العام، وبونه يصبح الناس في حالة حرب فتحقيق المصالح المتعددة للأفراد من خلال التعاقد هو الذي يقلل من حدة العداء الكامن بين الأفراد، ويؤدي ذلك إلى فائدة متبادلة وسلام متبادل. فقد فشل سبنسر وغيره فمن دوافع الأفراد الفعلية أو دوافع الأطراف الداخلين في التعاقد . إنها الجوانب غير التعاقدية في العقد الاجتماعي.وهي حقيقة لم يدركها أصحاب النزعة الفردية على الإطلاق . وهنا يكمن الحل الدور كايمي لمشكلة النظام الذي يقوم على قهر القيم والمعايير بدلاً من قهر الدولة لعلاقات النفعية وتنظيمها لها على ما ذهب هوبز.

دوركايم والفكر الاشتراكي:

دفع جنوح دور كايم إلى النظام إلى رفض الاشتراكية. لقد بدأ اهتمام دور كايم بالاشتراكية منذ عام ١٨٨٣م، نفس الفترة التي أعد فيها خطة كتابه عن تقسيم العمل. ولكن تقدمه في هذه الدراسة جعله ينشغل بها عن الاشتراكية إلى أن بدأ

يهتم بها مرة أخرى في عام ١٨٩٥م، حيث ألقى سلسلة محاضرات في هذا الموضوع. ويذهب البعض إلى أن كل أعمال دور كايم ما هي إلا محاولة لإقامة نموذج لمجتمع يعارض نموذج ماركس الاشتراكي ؛ حيث يحاول منذ البداية أن يبحث عن نوع من الوساطة الفكرية بين نسقين نظريين قائمين؛ الوضعية والماركسية من خلال تفسير منبعهما المشترك وأعني سان سيمون.

ولكنه فشل في هذه المصالحة الأيدولوجية فطوّر الجانب المحافظ عند سان سيمون وأهمل الجانب الراديكالي الذي طوره ماركس.

لم يرى دور كايم في الاشتراكية مذهباً جديداً بل اعتبرها صيحة ألم لإنسان يواجه بمظاهر الأنومي في المجتمع الصناعي. إنها مثلها مثل ظواهر المجتمع يجب أن تخضع للدراسة العلمية. يجب اعتبارها حقيقة اجتماعية خارجية، فهي وإن كانت توجد في المجتمع إلا أنها لا تعبر بالضرورة عن الظروف الاجتماعية التي أنتجت ذلك المجتمع. بل أن عداء دور كايم للاشتراكية امتد إلى نقد آراء ماركس فيما يتعلق بعلاقات الإنتاج والصراع الطبقي والنموذج الذي قدمه يؤكد أهمية التغيرات التراكمية في مقابل التغيرات الثورية في المشروع الماركسي. فالمجتمعات التي تقوم بها الثورات ليست هي المجتمعات التي تكشف عن قدرة أكبر على التغير، بل العكس هو الصحيح تماماً ؛ لأنه في أغلب هذه المجتمعات تظل التقاليد الأساسية دون تغير، كما أن الثوريين يعطلون التغير الطبيعي من خلال الروتين البيروقراطي. أما عن الصراع الطبقي فقد اعتبره دور كايم ناتجاً عن حالة المرض الذي استشرى في العالم الحديث إلى جانب سوء النظام الناتج عن التفكك الأخلاقي. ومن هنا كان تركيز دور كايم على الجوانب القيمية والأخلاقية في تحقيق التضامن والتماسك في المجتمع.

دوركايم والوضعية:

إن القول بتبني كايم للاتجاه الوضعي لا يعني أنه ردد آراء كونت على عواهنها، بل إنه استلهم الروح الوضعية عندما ركز على أهمية تحليل العلاقات القائمة بين النظم الاجتماعية من ناحية وبينها وبين البيئة الموجودة فيها من ناحية أخرى، وعندما جعل من نظريته محاولة لاستعادة التوازن والاستقرار بين عناصر

المجتمع المتصارعة، وفي إضفاء الطابع العلمي على دراسة المجتمع من وجهة نظر محافظة إلى حد بعيد. ولقد حاول دور كايم أن ينقي الوضعية ويخلصها من الشوائب الفلسفية واليوتوبية التي أضفاها عليها كونت وقد تجلى ذلك فيما يلي:

١. اختفت أو ضعفت النزعة التطورية في أعمال دور كايم وظهر اهتمامه بالدراسات المقارنة، ذلك الذي اتضح بجلاء في دراسة دور كايم لتقسيم العمل والانتحار والدين.
٢. معارضة النزعة التنبؤية اليوتوبية حيث ذهب دور كايم إلى أن العلم لم يصل على مرحلة النضج بحيث يمكن أن يتنبأ بالمستقبل: فإذا كان كونت قد رفع شعار النظام والتقدم. فإن دور كايم لم يعر أهمية للتقدم وركز على النظام. وبهذا يكون كايم قد أجهض النظرية التطورية للوضعية وقلب مفهومها عن الماضي رأساً على عقب.
٣. أضفى دور كايم طابع العلمانية على العلم. فإذا كان كونت وسان سيمون قد ربطا علم الاجتماع بالدين إلى درجة أنهما اعتبراه ديانة جديدة للإنسانية، فإن دور كايم عالج الدين كظاهرة اجتماعية مثل كل ظواهر المجتمع .
٤. نحا دور كايم بالوضعية منحىً علمياً فبذل قصارى جهده لتحديد موضوع ومنهج علم الاجتماع. فمن حيث الموضوع حدد خصائص الظاهرة الاجتماعية، ومن حيث المنهج ركز دور كايم على الموضوعية والعلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية إلى درجة أنه ذهب إلى أننا يجب أن نعتبرها " أشياء " خارجية منفصلة عن شعورنا الذاتي، وأنه يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة عن الظاهرة كي لا يقع في أسر أفكاره الخاصة. هكذا استمرت الوضعية في أعمال دور كايم كما سنرى في أعماله.

اهم مؤلفاته :

- ✓ "تقسيم العمل في المجتمع " الصادر عام (١٨٩٣م)
- ✓ "قواعد المنهج في علم الاجتماع " الصادر عام (١٨٩٥ م)
- ✓ "الانتحار" الصادر عام (١٨٩٦ م)
- ✓ "الأشكال الأولية للحياة الدينية " الصادر عام (١٩١٢ م)
- ✓ "التربية وعلم الاجتماع " الصادر عام (١٩٢٤ م)

- ✓ "علم الاجتماع والفلسفة " الصادر عام (١٩٢٤ م)
- ✓ "التربية والأخلاق " الصادر عام (١٩٢٥ م)
- ✓ "الاشتراكية " الصادر عام (١٩٢٨م)

تقسيم دوركايم لعلم الاجتماع :

صنف ميادين علم الاجتماع في ثلاث موضوعات رئيسية :

١. المورفولوجيا الاجتماعية وهي عبارة عن التركيب الجغرافي وكثافة السكان.
٢. الفسيولوجيا الاجتماعية وهي التي تتضمن العمليات الديناميكية كالعقيدة والأخلاقيات والقانون والحياة الاقتصادية .

علم الاجتماع العام أي العلم الشامل الذي يجمع النتائج والقوانين العامة التي تصل اليها فروع علم الاجتماع مهما تباينت مقدمات تلك النتائج وأساليب استنباط تلك القوانين .

قواعد المنهج العلمي عند دوركايم :

- ضرورة تحرر الباحث الاجتماعي بصورة كلية من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة والبحث .
- ضرورة تخصيص مبحث أو فصل من البحث لتحديد معنى المصطلحات والمفاهيم العلمية التي يستخدمها الباحث في دراسته العلمية .وهذه المصطلحات تعبر عن الظواهر الاجتماعية التي يدرسها الباحث .
- عند قيام الباحث بدراسة الظواهر الاجتماعية المحددة في دراسته عليه ملاحظة هذه الظواهر .وهذا شرط ضروري حتى يمكن التوصل إلى الصفات الثابتة التي تتيح لنا الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية ومن ثم تسمح لنا بالكشف عن القانون الذي تخضع له .

أما خطوات منهج دوركايم في علم الاجتماع فيمكن درجها بالنقاط التالية :

١. دراسة مكونات الظاهرة وتحديد عناصرها الأساسية لكي يتمكن الباحث من فهمها .
٢. دراسة أشكال الظاهرة في كل مرحلة من مراحل تطورها لربط ماضي الظاهرة بحاضرها بطريقة منطقية .
٣. دراسة علاقة الظاهرة بالظواهر الأخرى المشابهة وغير المشابهة لها .
٤. الاستفادة من منطق المقارنة بين الظاهرة والظاهرة الأخرى .
٥. التعرف على الوظيفة التي تؤديها الظاهرة الاجتماعية وتطوير تلك الوظيفة في مختلف المراحل التي تمر بها الظاهرة الاجتماعية .
٦. تحديد القوانين التي يتم استخلاصها من الدراسة بصورة دقيقة باعتبارها الهدف الرئيسي للعلم .
٧. وقد تصاغ هذه القوانين في صور كمية تعبر عن الظاهرة بالأرقام أو في صور كيفية تحدد الخواص والصفات العامة والدعائم الأساسية التي تقوم عليها الظاهرة .وهذا كله لابد أن يؤدي إلى رفع قيمة وفاعلية علم مابين غيره من العلوم .
٨. وكما يهتم المنهج عند دوركايم بالطريقة التاريخية فانه يهتم أيضا بطريقة المقارنة ويعتقد دوركايم بان البحث عن العلاقات السببية بين الظواهر الاجتماعية ليس إلا جانبا مهما من الجوانب التي يهتم بها علم الاجتماع لذلك حاول أن يطور منهجا وظيفيا يلاءم دراسة الظواهر الاجتماعية ،علما بان النزعة الوظيفية عند دوركايم هي بديل للمنهج الغائي الذي تكشف عنه كتابات كونت وسبنسر .(الحسن،١٩٩١ :٢٣٨-٢٣٧) ، ومن وجهة نظري أرى انه بالفعل كان لدوركايم محاولة كبيرة في بناء وتحديد منهجية خاصة بعلم الاجتماع بعيدة عن المناهج المتبعة في العلوم الطبيعية.

الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم

- عرفها بأنها طرق للسلوك والتفكير والشعور خارجة عن الفرد ولها من قوة التأثير ما تستطيع به أن تفرض نفسها على الفرد .
- ونستطيع أن نستخلص من هذا التعريف صفات الظاهرة الاجتماعية وهي كالتالي :
- الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة موضوعية لها وجود خاص خارج شعور الأفراد الذين يلاحظونها ويحسون بها لأنها ليست من صنعهم بل يتلقونها من المجتمع الذي تنشا فيه.
- الظاهرة الاجتماعية ليست هي وليدة التفكير الذاتي عند الأفراد .

- الظواهر الاجتماعية هي ظواهر شيئية وهذه الخاصية هي التي اعتمد عليها دوركايم في تأسيس علم الاجتماع ذلك انه شبه حقائق العالم الاجتماعي بحقائق العالم الخارجي .
- الظواهر الاجتماعية هي أشياء خارجية بالنسبة لشعور الأفراد .فالفرد يقبل الظاهرة ويخضع لها ويستسلم كما لو كانت قوة خارجية .
- للظاهرة الاجتماعية صفة الإلزام أو القهر.أي تفرض نفسها على شعور وسلوك الفرد .
- الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة إنسانية تنشا بنشأة المجتمع الإنساني .
- تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها تلقائية أي من صنع المجتمع ومن خلقه .
- الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة عامة وعمومية الظاهرة ناجمة من صفة القهرية .
- تمتاز الظاهرة الاجتماعية بصفة الترابط .بمعنى أن كل ظاهرة اجتماعية مترابطة مع الظاهرة الأخرى .

من وجهة نظري استنتج أهم ما قدمه من انجازات لعلم الاجتماع وهي كالتالي :

١- أكد على ضرورة فهم الظاهرة الاجتماعية لأسباب اجتماعية مما أدى إلى استقلالية علم الاجتماع .

٢- استخدم المنهجية العلمية التي اعتمدت على لغة الكم في فهم الظواهر الاجتماعية عندما استخدم المنهج الإحصائي الذي أعطى تكاملا لفهم الظاهرة في علم الاجتماع .

٣- استخدم الملاحظة والتجربة كطرق منهجية في فهم الظواهر الاجتماعية .

٤- ابتداعه للعقل الجمعي واستخدام هذا المفهوم لتفسير الظواهر .

٥- تأكيده على فكرة الموضوعية والحياد الأخلاقي بمعنى تقرير الأشياء كما هي في الواقع و أن لا يقحم الباحث ذاته في الدراسة .

٦- أصر على استخدام عامل الدين لفهم الظواهر الاجتماعية .

أهم الانتقادات الموجهة لدوركايم:

١. لقد اتهم دوركايم بالمادية عندما نادى بان الظواهر الاجتماعية يجب أن تدرس كأشياء .

٢. انه تحمس أكثر من اللازم لسوسيولوجيته وتغالى في تفسير الحقيقة الاجتماعية بحقيقة اجتماعية أخرى واشترط في استبعاده بعض المؤثرات الأخرى في الحياة الاجتماعية .

٣. في دراسته عن الانتحار لم يلتفت إلى العوامل الاجتماعية طبقا لما نادى به وهو تفسير الظاهرة الاجتماعية بظاهرة اجتماعية أخرى .

٤. أوجه النقص الأساسية في نظريات دوركايم إنما ترجع إلى ذلك التصور الذي يتأتى من تعاريفه ،فالتعريفات بالنسبة إلى ذلك تعريفات مبدئية بمعنى أنها تظل دائما في حاجة إلى تعديل كما أن أفكاره المنهجية الأساسية مثل شيء وواقعه وميكانيكي وموضوعي والفرد والقهر كانت معاني متعددة غامضة ويستخدم المصطلح في معاني مختلفة .

٥. نزعته المحافظة أي تأثره بظروف عصره وقد كتب دوركايم خلال فترة تفكك اجتماعي .

٦. اعتمد على تاريخ مجتمعات بعينها لتأييد وجهة نظره في تطور الأشكال الاجتماعية ،وأهمل المجتمعات الأخرى مما افقد نظريته الشمول والعمومية .

٧. في تحديده الظاهرة الاجتماعية بالجبرية والتلقائية قد طمس بذلك فاعلية الإنسان وجعله عبدا لمصير مجهول ومعنى ذلك أن الناس يخرجون إلى العالم وهم لا يملكون إلا أن يكونوا سلبيين يقبلون علاته .

المصادر والمراجع:

١. د. زيدان عبد الباقي ، التفكير الاجتماعي نظرته وتطوره ، مكتبة غريب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢. أحمد زايد ، النظريات الكلاسيكية والنقدية ، دار نهضة مصر ، مصر : القاهرة ، ط١، ٢٠٠٦.
٣. السيد عبد العاطي السيد ، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، مصر: الإسكندرية، ٢٠٠٠
٤. محمد علي محمد، تاريخ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، مصر : الإسكندرية.

****